وتحققت الأمنية

يعجبني ما يصدر منه، وأكثر ما يعجبني فيه حرصه على النظام وإتقان العمل، لم يكن هدفه مخالفة أولئك المتهورين،إنما كان يحرص على إرشادهم إلى الصواب.

كدت أختنق، وأصبحت أشهق نفسي وكأنني أسترجع بقايا الروح خشية الموت، فربما إنني معلق على مشنقة صماء وقد حكم علي بالإعدام لسبب أجهله، فوجهي المسود، وعيناي البارزتان، وأذناي المسدودتان دلائل على بدء تنفيذ الحكم، فلولا صافرة هذا الشرطي لسار الحكم في مجراه، ولفقدت نفسي بين هؤلاء. أوقف الشرطي الحافلة، وأنزل الركاب الواقفين، حتى أصبح عددهم يساوي أو يزيد عن أعداد الركاب الجالسين.

جميع من في الحافلة باتوا يراقبون حالة السائق وهي تتغير للأسوأ، بعدما كانت السعادة تغمره لجني الأرباح المنتظرة، بينما كنت أنا مشغولا بمراقبة الشرطي وهو يوعظ ويرشد السائق والركاب بكل لطف، فقد بين للجميع النتائج السلبية التي من الممكن أن نتعرض لها إذا ما خالفنا القوانين والأنظمة، بصراحة لقد أعجبني تصرفه وحرصه على النظام وسلامة الركاب.

أصبح كل راكب من ركاب الحافلة يخمن في عقله قيمة المخالفة، وقد بدأ الجميع بالتنافس في تخمين الأرقام المرتفعة، وبالنسبة لي فقد كنت من أصحاب الأرقام المرتفعة، فلم ينقطع تفكيري بتاتا عن استرجاع الأرقام الكبيرة، لكن كل نتائج التخمين قد ذهبت أدراج الرياح، مجرد ما تلفظ هذا الشرطي جملته الغريبة.

- رح الله يسهل عليك!

نظفت أذني بشدة، وحاولت استرجاع جملته في مصنع عقلي، بينما استقرت علامات التعجب والذهول على وجه كل شاهد على الحدث، والدهشة ما زالت تحتل نبضات القلب العادية، حتى صار

قلب كل واحد منا ينبض بالدهشة، فأصبحت الأسئلة تتبادل بين الحضور بهمس تام.

- هل يعقل أنه سامحه، ولم يحرر له أي مخالفة؟

بالفعل لقد سامحه، ولم يحرر له أي مخالفة

- هل من الممكن أن يخالف النظام، ولا يحرر المخالفات للمخالفين؟

ربما انه أراد أن يستحدث أسلوبا جديدا، يؤثر بالمخالفين ويردعهم عن أخطائهم دون اللجوء للعقاب والتوبيخ.

- هل من الممكن أن نكون مثله في موقف من المواقف؟

تمنيت أن أكون مثله، أو أن يكون أبي شرطي مرور، أو ربما كان أخي، على العموم سأتخذه قدوة لي، وسأسير على نهجه في سبل حياتي. حاولت ان أشكره وأبين له مدى الاحترام الذي أصبحت أكنه له، لكن حجزي لأحد مقاعد الحافلة الأخرى حال بيني وبين الشكر، لكن لا بأس، سأشكره في قلبي طوال حياتي. في تلك الليلة لم أترك أحدا من أفراد عائلتي حتى قصصت له تلك الحكاية، لدرجة أنهم ملوا من حديثي، وفارقوا مجلسي!

اليوم يوم جديد، وموعد جديد مع رحلة المواصلات الشاقة، والأمور تسير كالمعتاد، زحام، ضوضاء، سرعة، وما زال حلمي يرافقني مع كل حافلة أستقلّها، أن أرى ذلك الشرطي، ليس شرط أن أرى شخصه بالذات، إنما أتمنى أن أرى تصرفه وحسن تدبيره في شخص كل شرطي مرور، وما زلت أحلم وأتمنى من أحلام تعانق مزن المثالية، حتى أيقظني من حلمي هذا الراكب الذي وطأ على قدمي، والعذر معه، فكيف له ألا يطأ على أقدام الآخرين ولم يعد في ممر الحافلة رقعة كافية لاحتواء قدميه من التشرد، حينئذ تمنيت أن أرى ذلك الشرطي أمامي، لعله ينقذني من رحلة إعدام جديدة، بل عساه أن يوقفها للأبد، ألم يأن لي أن أصل لمبتغاي دون أن أتكبد عناء الاختناق، أم أنه أصبح حرام علينا أن نموت مرة واحدة في العمر، بعد أن تفشت مشاعر الألم في داخلي كرر صاحب القدم فعلته تلك،

ووطأ على قدمي مرة أخرى، لكن هذه المرة بشدة زادت من حدة الألم في داخلي، فرفعت رأسي نحوه على غفلة، لأنبهه من تكرار فعلته، فهذه المرة الثانية ولم يعد باستطاعتي أن أتحمله مرة ثالثة، لكن سرعان ما رفعت رأسي تيقنت تماما أن أمنيتي قد تحققت بالفعل، لقد رأيت ذلك الشرطي واقفا أمامي كمسمار مهترىء، لقد كان هو بعينه الذي يطأ على قدمي وهو يصارع الزحام بكامل قوته، لقد كان هو بعينه الذي تمنيت أن أراه للتو، لعله يخلصني مما أنا فيه، لكن كيف؟! وفي داخله كتلة هائلة من التناقض الملعون، ابتسمت وفي خاطري رغبة عارمة بالبكاء، لكني لم أسقط دمعة من دموعي الطفولية، بل وطأت على قدمه بمقدار حرقة قلبي، فتهجم بوجهي، وهو عابس المنظر، فهز برأسه بشكل استعراضي وقال لي بلهجة حادة:

- خير!

قلت

- وتحققت الأمنية

النهاية